حرف الياء

ألا يا دار عبلة!

حدثت ملاجَّة ما بين عنترة وبني عبس في إبل أخذها من طليعة لهم اقتتلوا عليها، فأرادوا أن يردوها، فأبى وخرج بماله وإبله ونزل في طيّئ، فكان بين جديلة وثعل قتال عظيم، وكان عنترة في بني جديلة ولم يكن لها ظفر في ذلك اليوم، فأرسلت بنو ثعل إلى غطفان: إن جوارنا كان أقرب وألحق وأعظم من أن يجيء رجل منكم يبغي علينا. فارتحلت غطفان إلى عنترة فأرضوه وتركوا إبله، فقال عنترة في ذلك:

[الوافر]

ألا يـــا دارَ عَـــبْـــلَـــةَ بـــالـــطّـــوِيّ
كَـــرَجْـــعِ الـــوَشْـــمِ فـــي كَـــفّ الـــهَـــدِيّ(١)
كـــوَحْـــيِ صَـــحـــائِـــفٍ مـــن عَـــهـــدِ كِـــســـرَى
فـــأهْـــدَاهَـــا لأعْـــجَـــمَ طِـــمْـــطِـــمـــيّ(٢)

(١) الطويّ: البئر، يقصد بالطويّ موضعاً كانت تنزل به عبلة. الوشم: النقش بظاهر الكفّ. الهديّ: المرأة تُزفّ إلى زوجها. يخاطب الشاعر ديار عبلة الكائنة بالطّويّ، وهي تبدو جميلة في ذلك المكان، بمثابة وشم عروس تُزفّ إلى بعلها ليلة عرسها.

(٢) كوحي صحائف: كخطّ كتاب. أعجم طِمْطِمي: الذي لا يُحسن النطق. تلك آثار وبقايا أطلال طال عليها الزمن، فتغيّرت معالمها =

أمِـــنْ زَوْ الـــحَـــوَادِثِ يَـــوْمَ تَـــسْـــمُـــو
بَـــنُـــو جـــرمٍ لـــحَـــرْبِ بَـــنـــي عَـــدِي[١]
إذا اضْـطَـرَبُـوا سَـمِـعْـتَ الـصَـوْتَ فـيـهـم
خَـفِـيّـاً غَـيـرَ صَـوْتِ الـمَـشْـرفـي[٢]
وَغَـيـرَ نَـوَافـذٍ يَـخْـرُجْـنَ مِـنْـهُـمْ
بـطَـعْـنٍ مِـثْـلَ أشـطَـانِ الـرّكِـيّ[٣]
وَقَـدْ خَـذَلَـتْـهُـمُ ثُـعَـلُ بـنُ عَـمْـرٍو
سَـلامَـانـيّـهُـمْ وَالـجَـرْولـيّ[٤]

= لقدمها، فهي من عهد كسرى، وقد قدّمها هديّة لمن لا يُحسن النطق والتعبير عمّا يُخالجه.

(١) زوّ الحوادث: حدوث المصائب. يوم تسمو: يوم تهفو نفوس بني جرم لحرب بني عديّ، يسخر الشاعر كيف أن غدرات الزمن تغيّر المعادلات؛ فالوضيع والضعيف يتنمر ويستنسر فتهفو نفسه لمقاتلة الأقوياء الذين هدّت كواهلهم النكبات فتحوّلوا من قوّة إلى ضعف.

(٢) وبنو جرم جبناء يتصايحون إذا ما ألمت بهم مكروهة، ولكن لا يُسمع صوتهم لأن السيوف تعمل فيهم وتفعل فعلها، فيعلو صوتها.

(٣)، (٤) النوافذ: الطعنات القاتلة. الأشطان: حبال البئر. الرّكيّ: البئر. وممّا يُؤسف له أنّ بني جرم تتوالى عليهم جراحات؛ فالرماح تنفذ إلى القلوب، ويتركها الفرسان معلّقة وكأنها حبال ماتح أرسل دلوه ليمتح الماء من بئر. وهم عُرضة للهزيمة بعدما تخلّى عنهم حلفاؤهم من بني ثُعَل وأحلافهم، فكانوا طعم الهزيمة المنكرة.